علوم اسلام

العدد الاول – السنة الاولى - 1989

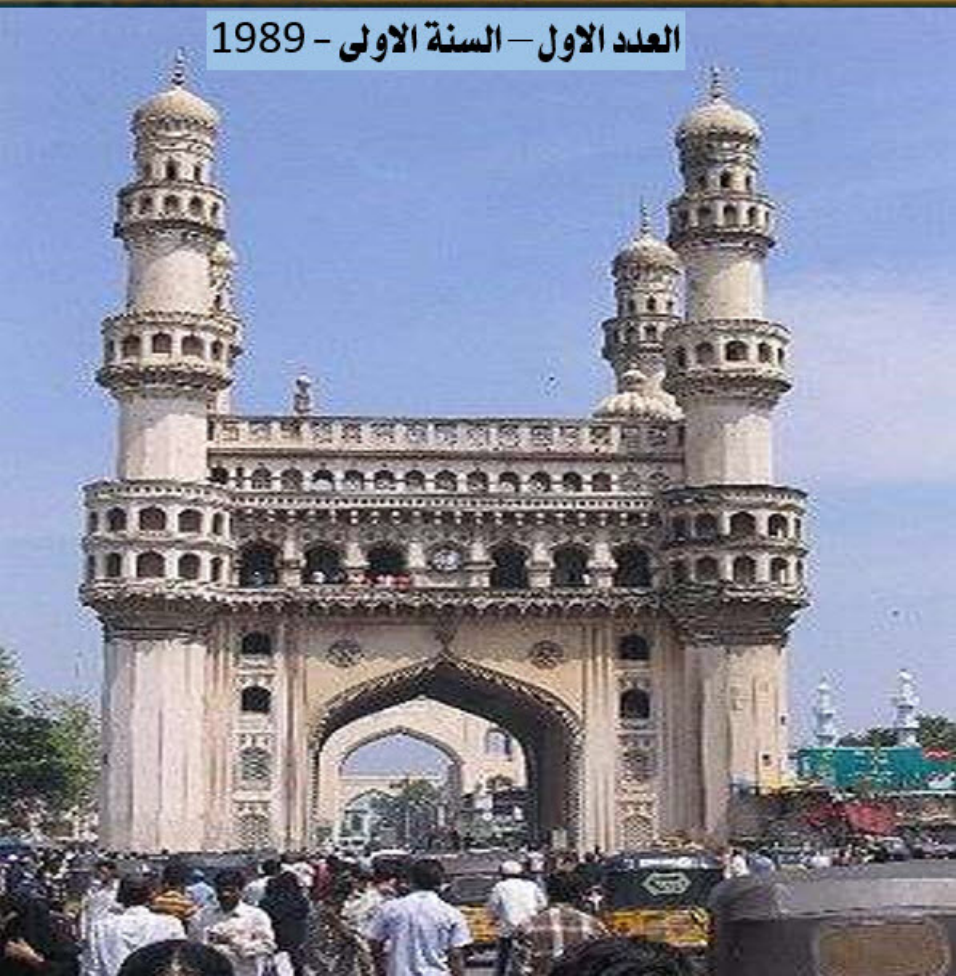

كُتب وكتّاب

مصادر نهج البلاغة وأسانيده

تـأليف :

السيـد عبـد الـزهـراء الحسيني الخـطيب

الـطبعـة الخامسـة ـ دار الزهراء ـ بيروت ١٩٨٨ .

كان للاتصال الطويل الذي صـاحب حياة الإمام علي عليه السـلام بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أثر أدبي خالد في نفسه ، ذلك الاتصال المتمخض عن طفـولته وشبـابه ، وليس أدلّ علىٰ ذلـك من تلك الروح القـويـة التي أطلّت من آثـاره ، والتي اتلعت جيـدهـا وتفجرت في خطبه ورسائله ، فكشفت عن أرفع أسلوب لم يزل نبراسا لكل مدلج .

وكـان (عليه السـلام) إلىٰ جانب ذلـك كثير الاهتمـام بتـلاوة القـرآن الكـريم وبحث معانيه ، وتفسير آياته ، ومن هنا سلس قياد اللغة والفصاحة له فاضحىٰ علما مفوهـا ، واديبا ممتازاً ضرب بالفصاحة والبيان بأوفىٰ نصيب ، فكان قوي المنطق ، فصيح اللهجة ، عذب الحديث ، تتفجّر البلاغة من كلامه ، واعظاً تخشع لعظاته القلوب ، وخطبه في الحث على الجهاد ، ورسائله إلىٰ معاوية التي تعرضت لألوان الحياة في عهده ، وعهده للاشتـر ، تقف اليـوم في الصف الأول من بـدائـع العقـل ، وقـوة الأسلوب ، والتمكن من اللغـة وفنـونهـا واعجازها .

وهذا كتاب (نهج البلاغة) الذي جمعه الشريف الـرضي من كلامـه عليه السـلام مرآة تعكس لنا صوراً تنبض بالفن والحياة .

قال الشيخ محمد عبده في وصف (نهج البلاغة) :

« انه حاو جميع ما يمكن للكاتب والخاطب من اغراض الكلام ، فقد تعرض للمدح والـذم الأدبي ، والترغيب في الفضـائل ، والتنفيـر عن الرذائـل ، وللمحاورات السياسية ،

والمخاصمات الجدلية ، ولبيان حقوق الراعي علىٰ الرعيّة ، وحقوق الرعية علىٰ الـراعي ، واتىٰ علىٰ الكلام في أصول المدنية ، وقواعد العدالة ، وفي النصائح الشخصيـة والمواعظ العمومية » .

ويحق للمرء أن يعتز وهو يطالع ما جاء في نهج البـلاغة ولمـا ضمّ بين دفّتيه من علم غزير ، وأن يزداد اعتزازاً وفخـراً كلما ازداد قـراءة وتعمقاً بهـذا السفر الجليـل ، وقد جمـع هذا الكتاب الفريد علوماً كثيرة ، منهـا المنطق والفلسفـة والبلاغـة والسياسـة والقانـون ومن العلوم الطبيعية الحديثة .

وذلكم الإمام علي واضع هذا (النهج العظيم) ، امام الفصحاء ، وسيد البلغاء ، وفي كـلامه قيـل « دون كلام الخـالق ، وفـوق كـلام المخلوقين » ، ومـع مـا بلغـه من الـذيـوع والاشتهار فقد أبت عقول أهل الأهواء والغرائز المعوجة ، والاذهان السـادرة ، إلاّ أن تلصق به التهم المختلفة وأقاويل الزور والبهتان بنسبته إلىٰ جامعه السيد الشـريف الرضي ، وكلمـا زادت حدّة الأقاويـل المنحرفـة عن نهج الحق بشـأن (النهج العـظيم) ازدادت الحاجـة إلىٰ كتاب يجمع أسانيد نهج البلاغة من كتب الفريقين لإثبات نسبته للإمام عليه السلام وبشكل لا يقبل الجدل والارتياب ، وهذا ما وفق العلاّمـة الحسيني في كتابـه (مصادر نهـج البلاغـة واسـانيده) ، الـذي عانىٰ في سبيـل تأليفـه الجهـود المضنيـة أيّـده الله وجـازاه خيـر جـزاء المحسنين .

ولدىٰ صدوره الاول استقبله رجالات العلم والأدب بما يليق به من تقدير وتثمين كونه سدّ فراغاً كبيراً في المكتبة العربية والإسلامية أثبت فيه مؤلفه المفضال أن الشـريف الرضي ليس له فيه سوىٰ الجمع والاختيار ، والترتيب والتبويب ، وبرهن بالأدلة والـوثائق التـأريخية أن كـل ما حـواه (النهج) مـروي عن أمير المؤمنين ، مشهـور النسبة إليـه ، وأن كلّ اولئـك الذين تطاولوا علىٰ (نهج البـلاغة) أو تحـاملوا علىٰ جامعـه ، ان هم إلاّ قوم دعـاهم الهوىٰ فأجابوه ، وقادهم التعصب الأعمىٰ فاتبعوه .

وقـد جاء الكتـاب باربعـة أجزاء ، وبلغت صفحـاتـه إلىٰ مـا ينـاهـز الألفين ، واتسم بـالمنهج العلمي الحـديث المتبع في الـدراسات الاكـاديميـة بـالنسبـة إلىٰ تنسيق الفصـول والأبواب ، وتنضيد المادة، ودقة الانسجام بين ما تنتهي منه ، وما تمهـد له ، بشكـل يحقق وحدة الموضوع ، وتكامل اجزائه ، فكان ان تراصت نتائج البحث ، وتلاءمت خلاصاته بما يضمن له الرجحان في موازين البحوث الرصينة .

فإذا ما عرفت الكتاب ونفيس محتواه فلا ريب أن يتلاقفه القراء ، ويجله العلماء ، وينوه بذكره الأدباء وهذه بعض التواريخ الشعرية التي أشادت بالكتاب ومصنفه ، وفيها ما فيها من باهر الدلالات على سبق المؤلف في العلوم والكمالات ، فمما قاله الميرزا محمد الخليلي الطبيب :

كم شك في النهج قوم من مبغض ومكابرْ
فالبعض ينسبه للرضي إذْ كان حائرْ
وآخر قال هذا ملفقات الأواخر
لذاك قام الخطيب الأديب نهضة خادرْ
فانظر بعقلك واسأل ذوي الحجى والبصائرْ
فسوف ترضي ضميراً لا بل سترضي ضمائرْ
فاقرأ وأرخ وفاقاً (للنهج هذي المصادر)

١٣٨٧ هـ

وقال السيد علي الهاشمي الخطيب :

للسيد الندب سفر بدا ليجلو الدياجر
(مصادر) منه وافت عبّاقة كالأزاهر
لكل حبر صحيح به (الصحاح) تفاخر
(نهج البلاغة) نهج لكلّ نهاءٍ وآمر
وحجة تتجلّى منه لأهل المنابر
يا رائد الفضل أرّخ (فقل بخير المصادر)

١٣٨٨

وقال السيد علي رضا الهندي :

في العلم كان فراغ وقد سددت فراغهْ
بخير سفر جليل مصادراً وصياغهْ
نور الهدى فيه أرّخ (ونور نهج البلاغهْ)

١٣٨٩ هـ

مع مؤلف الكتاب :

هـو السيد عبـد الزهـراء بن السيد حسين بن السيـد جبر بن خفي بن نـوح بن نـاصـر ابن علي بن خَفّـان بن ياسـر الكبير بن شـوكـة بن عبد الله بن الحسين بن أبي الحسين علي المعـروف بابن الشـوكية بن أحمـد بن أبي عبد الله بن الشـريف أبي الهيجاء محمـد بن زيد الأســود المكنىٰ بــأبي الحسين بن الحسين بن أبي الحسن علي كتيلة بن يحيى بن يحيىٰ ابن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيـد بن الإمـام زين العـابـدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

ما يمتاز به هذا العـالم الجليل ، والغـطريف النبيل ، سعـة اطلاعـه ، وطول بـاعه ، ووفور فضله ، وعزّ منابت أصله ، وسعة أفقه ، وسلامة منطقه ، ومداركه العلمية ، وثقـافته المـوسوعيـة ، لذا فهـو مدرسـة متنقلة في الحل والتـرحال ، يـأنس به القـريب ويستفيـد ، ويشتاق له البعيد ، طمعاً بلقياه ، وشوقاً إلىٰ مطالعة محياه ، وأذكر اننا كنـا سويّـة في زيارة إلىٰ الهنـد استغرقت شهـوراً ، وكانت الكتب والـرسائـل تتـرىٰ ، من أكبـد حـرّىٰ ، سـائلة مستفسـرة ، من أنفس وامقه وإلىٰ شخصـه عـاشقـه ، فَمَنْ في مثل طيب سجـايـاه وحسن نواياه ، وبساطته الظاهرة ، واخلاقه الطاهرة ، كيف يُمَلُّ من مجالسة ؟ من هو أهـل الإمتاع والمؤانسة ، واقسم لو أنَّ (الشريف) لاقاه ، وحاوره وناجاه، لدوّن من أخبـاره في اماليـه ، وضم إليها في ـ غرر فرائده ودرر قلائده ـ من لئاليه .

واسرته تعرف في جنوب العـراق باسم (أُخـوة سْمَيَّة) من الأُسَـر الحسينية وتَلْتَقِي مـع بطونٍ متعددةٍ في الشَّريف ياسـر الكبير ، وقـد يجمع اسم (آل يـاسر) جميـع هذه الاسـر ، فمنها (آل شوكة)، و(آل ابي تْفيجة) و(آل عزيز) و (آل عِلي) بكسـر العين ، و (آل نعمة) ، و (آل فيّاض) ، و(آل مَناف) ، و(آل أبي فريحة) وغيرهم .

ولـد سنة ١٣٣٩ هـ /١٩٢١ م في نـاحية الخضـر التابعـة لقضاء السَّمَـاوة وكان يتبـع ادارياً للواء الديوانية، من اسرة تمتهن الزراعة ، كان والـده السيد حسين يشـارك في زراعة سهل (الفريحي) بالناصرية ، ووالدته ابنـة الحاج خيّـون حسن محمد علي الْحُسِينَـاوِي من أهل (العَرْجَة) بالنَّاصرية وكان تاجراً ، ونشأ لدىٰ المترجم الْمَيْل الفطري للمعرفة منذ نعومة أظفاره وظهرت مـواهبه المبكـرة في الخطابـة الحسينية ، سـاعده في ذلـك حافـظته القـوية وحسن ادائه واسلوبه ، وكان أن تنبّه لمواهبـه هذه زعيم اسـرته العـلاَّمة الخـطيب الراحـل

السيد كاظم السيد علي الحسيني[١] فشمله برعايته وتوجيهه في فنّ الخطابة خاصة ، واختلف علىٰ العلامة الشيخ طالب آل حيدر المنتفجي ، فدرس عليه بعض مقدمات العلوم العربية والدينية ، وتاقت نفسه للإستزادة من العلم ومواصلة الدراسة فهاجر وهو في سنّ السادسة عشرة إلىٰ النجف الأشرف واستطاع أن يواصل تحصيله العلمي فكان من بين اساتذته : الإمام محمد حسين آل كاشف الغطاء ، والشيخ أسد حيدر[٢] ، والشيخ علي المرهون[٣] ، والسيد سعدون البعاج[٤] .

واختص بملازمة الإمام كاشف الغطاء ، واصبح كاتبه الخاص يأتمنه علىٰ اسراره ، وخفايا المرجعية وامورها وقد وفّقه الله لئن يكون عند حسن ظن الإمام كاشف الغطاء لما عَرَف عنه من نقاء السيرة والسريرة ، والخلق الطاهر ، والسجايا الطيبة .

ومن يعرف العلاّمة الحسيني الخطيب عن قرب ، يعجز عن إيفاءه حقّه من الثناء والإطراء ، ولا ريب فهو غصن يانع من الدوحة النبوية المباركة .

آثاره :

١ ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده ـ طبع عدة طبعات .

٢ ـ ما أخذه المتنبي من نهج البلاغة طبع عدة طبعات تحت عنوان (مائة شاهد وشاهد من

---

(١) هو ابن عم والده ، والسيد المترجم كثير الثناء عليه والاستشهاد بعلمه وادبه ،ولد في ضاحية من ضواحي الناصرية سنة ١٣٠٦ من عائلة فلاحية ، غير أنه اتجه للدراسة في الحوزة العلمية فهاجر إلى النجف سنة ١٣٢٠ هـ بتشجيع صهره العلامة الشيخ محمد حيدر رحمه الله ، وثابر علىٰ التحصيل ، وامتهن الخطابة ، وبرع فيها حتىٰ صار موضع إعجاب المستمعين علىٰ اختلاف أذواقهم لغزارة علمه ، ووفرة اطلاعه ، ومعرفته بحرمة المنبر ، وحسن معالجته لمشاكل المجتمع من خلاله ، توفاه الله في ١٥ شعبان ١٣٧٠ ودفن بالنجف الأشرف ، وقيل فيه الكثير من المراثي من الشعر والنثر جمعها المترجم وضمها إلى بعضها في كتاب يحمل عنوان « ذكرىٰ السيد كاظم الحسيني الخطيب »ما يزال مخطوطاً .

(٢) عالم مؤرخ فاضل له مؤلفات عديدة منها : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (مطبوع) ، ومن كتبه المخطوطة : أحسن الطلب ـكشكولـ، الشيعة في قفص الاتهام ، وقاية البلاء في مدائح ومراثي آل العباد ـ مجموعة شعرية ـ.

(٣) من خيرة علماء القطيف والأفاضيل المشهود لهم بالعلم والصلاح ، له كتب مطبوعة منها قصص القرآن ، أعمال الحرمين ، أربح التجارات ـ أدعية ـ ، ذكرىٰ السيد ناصر الاحسائي .

(٤) من أهل سوق الشيوخ ، من اسرة علوية معروفة، وهو أخ العالم السيد مولىٰ البعاج توفي سنة ١٩٦٨ ، وصدر عن حياته كتاب يحمل عنوان « ذكرىٰ البعاج » .